﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ [الإنسان: 11 - 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

جـزاء الإحسان إنعامٌ وامتنان

لمّا حكَى المولَى سبحانه عن الأبرارِ أنَّهم أتَوا بالطّاعاتِ طلبًا لرضا ربِّهم الكريم، وخوفًا مِن عذاب يوم عظيم؛ بيَّنَ أنَّه أعطاهم ما طلبوا؛ فتقبَّل منهم تلك الأعمال، ومنحهم السَّلامة مِن الأهوال، وأورثهم نضرةً في الوجه، وسرورًا يصحبهم إلى يوم الدِّين، وجنَّة عرضها السَّماوات والأرض أُعدَّت للمتَّقين(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾: أصل (وقى) يدلُّ على دفع شيء عن شيء بغيره. اتَّقى يتَّقي أصله اوْتَقَى على افتَعَل(2). الوقاية: فرط الصِّيانة وحفظ الشَّيء ممّا يؤذيه ويضرُّه، يقال: وقيت الشَّيء أقيه وقاية ووقاءً، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾. والتَّقوى: جعل النَّفس في وقاية ممّا يُخاف. وصار التَّقوى في تعارف الشَّرع: حفز النَّفس عمّا يؤثِّم(3). والتَّقيُّ المُتَّقي(4).

2) ﴿نَضۡرَةٗ﴾: أصل (نضر) يدلُّ على حُسن وجمال وخلوص(5). النَّضرة: الحُسن والرَّونق كالنَّضارة. قال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾(6). ونَضَر وجهُه ينضُر، فهو ناضِر. وقد نضَر وجهُه،

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 141، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 136، والشَّوكانيُّ، نيل الأوطار: 5/ 419 - 420.
(2) الجوهريُّ، الصِّحاح: (وقى).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (وقى).
(4) الجوهريُّ، الصِّحاح: (وقى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نضر).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (نضر).

ينضُر نضرةً؛ أي: حَسُن. ونضَّر الله وجهَه. والنَّضار: الخالص مِن كلِّ شيء[1]، والنَّضارة حالٌ مُعْجبَة طيِّبة تَظْهَرُ على الشَّيء أو تَغْشى حالَه[2].

3) ﴿وَسُرُورًا﴾: أصل (سرر) يدلُّ على إخفاء الشَّيء، وما كان مِن خالصه ومستقرّه[3]. السُّرور: خلاف الحزن، وهو ما ينكتم مِن الفرح قال تعالى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[4]. تقول: سرَّني فلان مَسَرَّة[5]. وسرور الآخرة يضادُّ سرور الدُّنيا[6].

4) ﴿وَحَرِيرًا﴾: الحرُّ ضدُّ البرد، والحرارة ضدُّ البرودة[7] والحرير مِن الثِّياب: ما رقَّ. سُمّي بذلك لخلوصه[8]. والحريرة: واحدةُ الحرير مِن الثِّياب[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لقد أمَّنَ الله عباده المؤمنين فجعلهم في زمرة أهل الجنَّة المنعَّمين

بعد أن حكى الحقُّ ﷻ عن عباده المؤمنين أنَّهم أتوا بالطّاعة لغرضيْن هما: طلب رضا الله، والخوف مِن يوم القيامة بيَّن في هذا السّياق القُرآنيِّ أنَّه قد استجاب دعوتهم وحقَّق مناهم فدفع عنهم شرَّ ذلك اليوم الذي يخافون، وأعطاهم حسنًا وبهاءً في الوجوه، وفرحًا وسعادة في القلوب، وجزاهم بسبب صبرهم على أداء الواجبات واجتناب المحرَّمات، وإيثار الأموال لفعل الخيرات، وترك المنكرات بستانًا عظيمًا منه يأكلون، وحريرًا ناعمًا منه يلبسون[10].

(1) الجوهريُّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (نضر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نضر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سرر).
(4) الجوهريُّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (سرر).
(5) الجوهريُّ، الصّحاح: (سرر).
(6) الرّاغب، المفردات: (سرر).
(7) الجوهريُّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (حرر).
(8) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (حرر).
(9) الجوهريُّ، الصّحاح: (حرر).
(10) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 270، والهرريُّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 491 - 492.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾:

"الفاء في قوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ للتَّفريع على ما تقدَّم، ولبيان ما ترتَّب على إخلاصهم وسخائهم مِن ثواب؛ أي: فترتَّب على وفائهم بالنُّذور، وعلى خوفهم مِن عذاب الله تعالى وعلى سخائهم وإخلاصهم - ترتَّب على كلِّ ذلك أنْ دفع الله تعالى عنهم شرَّ ذلك اليوم، وهو يوم القيامة"[1].

تفريع الامتنان على ما تقدَّم مِن إحسان

"وفي هذا التَّفريع تلوينٌ للحديث عن جزاء الأبرار وأهل الشُّكور، وهذا برزخٌ للتَّخلُّص إلى عود الكلام على حُسنِ جزائهم أنَّ الله وقاهم شرَّ ذلك اليوم، وهو الشَّرُّ المستطير المذكور آنفًا، وقاهم إيّاه جزاءً على خوفهم إيّاه، وأنَّه لقّاهم نضرةً وسرورًا؛ جزاءً على ما فعلوا مِن خير"[2]، أو "الفاء عاطفةٌ لبيان السَّبب؛ أي: فبسبب خوفِهم وقاهم الله؛ أي: دَفَعَ عنهم شرَّ ذلك اليوم ووطأته"[3]؛ ذلك أنَّه "لمّا كان فعلُهم هذا خالصًا لله، سبَّبَ عنه جزاءَهم"[4]، فقال: "﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾؛ أي: دفع عنهم شرَّه بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجهه، فالفاء سببيَّة"[5].

دلالة التَّعبير بالماضي والسِّياق للمضارع ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾، ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾:

تخبر الآيات الكريمات عمّا سيجري للأبرار في الجنَّة، وهذه كلُّها أمور مستقبليَّة، فكان مقتضى الظّاهر أن يُعبَّر عنها بالمضارع المسبوق بما يدلُّ على الاستقبال، غير أنَّ التَّعبير القرآنيَّ آثر التَّعبير عن "المستقبل بلفظ الماضي إشعارًا بالقطع بوقوعه"[6]،

الله تعالى لا يخلف الميعاد، ولا يحول شيء دون ما أراد

(1) طنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 221.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 387 - 388.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 317.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 141.
(5) القنَّوجيُّ، فتح البيان: 14/ 465.
(6) ثناء الله المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 156.

و"لتأكيد تحقُّق الوعد"[1]؛ فإنَّ الله تعالى لا يخلف الميعاد، ولا يحول شيء دون ما أراد.

توجيه عود ضمير الغيبة ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾، و﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾:

وقى الله الأبرارَ المخوفات، وأثابهم بالمكرُمات

المراد بقول الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾، ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾ هم الأبرار الذين تقدَّم ذِكرُهم؛ "أي: أنَّ هؤلاء الأبرار الذين خافوا هذا اليومَ، وأعدّوا العُدَّة له، قد وقاهم الله شرَّه، ودفع عنهم مكارِهَه، وألقى عليهم نضرةَ النَّعيم، وبهجة الرُّضوان، ففاضت نفوسُهم مسرَّةً وحبورًا"[2] وظاهرُ هذه الآياتِ العمومُ في كلِّ مَن خاف مِن يوم القيامة، وأطعمَ لوجه الله وخافَ مِن عذابه، والسَّبب وإنْ كان خاصًّا... فالاعتبارُ بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، ويدخل سببُ التَّنزيل تحت عمومها دخولًا أوَّليًّا"[3].

الغرض من التعبير بالاسم الجليل فاعلا ﴿ٱللَّهُ﴾:

الله يثيب مَن أطاعه ووحَّدَه، ويكرم مَن خافه ومجَّدَه

آثر النَّظم القرآنيُّ التَّعبير بالاسم الظّاهر الأحسن الأجلِّ ﴿ٱللَّهُ﴾ في مقام الفاعليَّة، ولم يعبّر بالضَّمير (فوقيناهم)؛ وذلك لأنَّ التَّعبير بالاسم الجليل يورث المهابة في النُّفوس، فهو المنعم الأعظم، والمكرِم الأعزُّ، كما أنَّ هذا التَّعبير يدلُّ هنا على كمال العطاء، فإنَّ ما فعله هؤلاء الأبرار مِن الوفاء بالنَّذر وإطعام الطَّعام وغير ذلك إنَّما فعلوه عبادةً لله تعالى وإخلاصًا له سبحانه فكان مِن المعبود بحقٍّ أن كافأ عابديه بما لم يخطر لهم على قلب! وهذه غاية الإحسان!كما أنَّ في ذلك تعريضًا بالكافرين الذين عبدوا الأصنام فلم تغن عنهم مِن الله شيئًا، فلا هي دفعت عنهم عذابًا، ولا هي ضمنت لهم ثوابًا، وهذه غاية الخذلان!.

(1) النَّيسابوريُّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 414، والزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 29/ 291.
(2) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1365.
(3) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 5/ 420، والقَنَّوجيُّ، فتح البيان: 14/ 465.

سرّ الإضافة في ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾، ونكتة التعبير باسم الإشارة بلام البعد:

يـوم القيامة فظيعٌ مَهول، وشدائدُه تذهب بالعقول

الإضافة في قوله تعالى: ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ إضافة معنويَّة، وقد أفادت تهويل الشَّرّ المضاف لذلك اليوم وتعظيمه؛ فإنَّ الإشارة ليوم القيامة بلام البُعد تفيد أنَّه قد ذهب شأوًا بعيدًا في الهول والعظَمَة، فإذا أُضيف إليه شيء فإنَّ هذه الإضافة تكسب المضاف شيئًا من صفات المضاف إليه. وهذا اليوم هو "العَبوس القمطرير"[1]، "الذي يخافون"[2].

دلالة العطف في ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾:

كافأ الله الأبرار، فدَفَعَ عنهم المَضارّ، وجَلَبَ لهم المَسارّ

جملة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾ جملةٌ معطوفةٌ على جملة ﴿فَوَقَىٰهُمۡ﴾[3]، وهذا العطف قد وقع موقعًا بديعًا من حيث ترتيب النِّعم التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده الأبرار؛ ذلك أنَّهم لمّا قالوا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ أثابهم الله تعالى بأنْ جعل وقايتهم من شرّ ذلك اليوم مقدَّمةً في الامتنان على المكافأة بالعطاء بالنَّضرة والسُّرور، وإسكان الجنَّة وإلباس الحرير؛ لأنَّ درء المفسدة مقدَّم عل جلب المصلحة، والتَّأمين من المخوف أولى من إسباغ العطاء بمئات الألوف، "فدَفَعَ الله عنهم شرَّ ذلك اليوم العَبوس، وآمَنَهم ممّا خافوا منه بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجهه، وأعطاهم بدل العُبوس في الكُفّار نضرةً في الوُجوه وسُرورًا في القُلوب لطلبهم رضا الله[4].

بلاغة التَّمثيل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾:

تسعى نضرة النَّعيم إلى وجوههم، ويفيض السُّرور من قلوبهم

قوله تعالى: "﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾ معناه: جعلهم يَلْقون نضرةً وسرورًا؛ أي: جعل لهم نضرةً وهي حُسن البَشَرة، وذلك يحصل من فرح النَّفس ورفاهية العيْش. قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة:

(1) محمَّد عبد اللَّطيف الخطيب، أوضح التَّفاسير: 1/ 724.
(2) الثَّعلبيُّ، الكشف والبيان: 28/ 217.
(3) محمود صافي، الجدول: 15/ 187.
(4) الزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 29/ 290.

22] فمثَّل إلقاء النَّضرة على وجوههم بزَجِّ أحدٍ إلى لقاءِ أحدٍ على طريقة التَّمثيل"[1].

بلاغة الجناس:

وقع بين قول الله سبحانه: ﴿فَوَقَىٰهُمۡ﴾، وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾ جناسٌ ناقص؛ وذلك لاختلاف الهيئات والحركات. وهو بجرسه الظّاهر هذا فيه إشارة إلى ما بين النِّعمتين - نعمة التَّنجية، ونعمة التَّرضية - مِن تجانسٍ، فليس بينهما فواصل ولا انتظارُ حينٍ، بل كان هذا اليوم المخوف المفزع هو نفسه يوم الكرامة والجائزة الكبرى، وهذا التَّجانس بين المنع وقايةً والعطاء كرامةً قد أشار إليه ما بين الكلمتين: ﴿فَوَقَىٰهُمۡ﴾، و﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾ مِن جناس بليغ بديع!.

تجانس المنع للوقاية والسَّلامة، مع العطاء للمكافأة والكرامة

لطيفة الجمع بين الثَّوابَيْن: ﴿فَوَقَىٰهُمۡ﴾، و﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾:

لمّا حكى الله تعالى عن الأبرار "أنَّهم أتوا بالطّاعات لغرضيْن: طَلَبِ رضا الله، والخوفِ مِن القيامة - بيَّن في هذه الآية أنَّه أعطاهم هذيْن الغرضيْن. أمّا الحفظ مِن هول القيامة، فهو المراد بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾، وسَمَّى شدائدَها شَرًّا توسُّعًا على ما علِمْتَ، وهذه الآيةَ أحدُ ما يدلُّ على أنَّ شدائد الآخرة لا تصلُ إلّا إلى أهل العذاب! وأمّا طلبُ رضاءِ الله تعالى فأعطاهم بسببه ﴿نَضۡرَةً﴾ في الوجه، ﴿وَسُرُورٗا﴾ في القلب"[2].

أخلص الأبرارُ في مبتغاهم وأجادوا، فأثابهم الله بما أرادوا

الغرض من تنكير ﴿نَضۡرَةً وَسُرُورٗا﴾:

جاء التنكير في: ﴿نَضۡرَةً وَسُرُورٗا﴾: للتَّعظيم والتَّفخيم، فما سَعِدَ الأبرارُ سعادةً كهذه السَّعادة مِن قبلُ، فهي سعادة لا يبلغها كنهٌ، ولا يحيط بها وصف، وكذلك "التَّنكير في (سُرورًا) للتَّعظيم والتَّفخيم"[3]؛ أي: "(سُرورًا) لا انقطاع له"[4]، "ولا يصِفُه واصفٌ"[5].

متاع الجنَّة فخيم، ونعيمها عظيم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 388.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 749.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 749.
(4) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 378.
(5) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 23/ 36.

نكتة العطف:

جـمـع الـلـه للأبرار بين نعيم الظّاهر ونعيم الباطن

عُطِف ﴿وَسُرُورًا﴾ على ﴿نَضْرَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ للجمع "بين نعيم الظّاهر والباطن"(1)، فالمعنى: "لقّاهم نضرةً في وجوههم، وسُرورًا في قلوبهم"(2)، "وذلك أنَّ القلب إذا سُرَّ استنار الوجهُ"(3) ولمّا كان تكاملُ النَّعيم يحصل باكتمال أركانه الأربعة: "نعيم ظاهر وباطن، ومسكن يُقيمون فيه، ومَلبَس"(4)، فقد أشار إلى نعيم الظّاهر بقوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾؛ أي: حُسنًا ونعمةً تظهرُ على وجوهِهم، وعيْشًا هنيئًا، وقد أشار إلى نعيم الباطن بقوله: ﴿وَسُرُورًا﴾؛ أي: دائمًا في قلوبهم في مقابلة خوفهم في الدُّنيا، وفي مقابلة عُبوس الكفّار في الآخرة وخزيهم. وهذا يدلُّ على أنَّ وصفَ اليومِ بالعُبوس للدَّلالة على المبالغة في عُبوس أهله، ثمَّ أشار إلى المسكن بقوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً﴾؛ أي: أثابهم بسبب ما أوجدوه مِن الصَّبر على العبادة مِن لزوم الطّاعة، واجتناب المعصية، ومنعِ أنفسِهم الطَّيِّباتِ، وبذلِ المحبوباتِ وأعطاهم بستانًا جامعًا يأكلون منه ما يشتهون جزاءً على ما كانوا يُطعِمون(5). وأمّا الملبس فهو الحرير الذي عُطِف ذِكرُه على هذه الجنَّة.

معنى (الواو) ودلالتها في ﴿وَجَزَىٰهُم﴾:

ما أعظمَ نعيمَ الأبرار! وما أشدَّ خسرانَ الكُفّار

"الواو عاطفة"(6)، "وجملة ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ عطفٌ على جملة ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾، وجملة: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾؛ لتماثُل الجُمَل الثَّلاث في الفعليَّة والمُضيّ، وهما محسِّنان مِن محسِّنات الوصل"(7).

(1) السَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 901.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 101.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 289.
(4) الشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 453.
(5) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 142.
(6) بهجت صالح، الإعراب المفصَّل لكتاب الله المرتَّل: 12/ 278.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 388.

لطيفة التَّعبير بالجزاء دون غيره في ﴿وَجَزَىٰهُم﴾:

لم يطلبوا الجزاء مِن غير الله المنّان، فكافأهم سبحانه بنعيم الجنان

قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم﴾؛ "أي: أعطى كلَّ واحدٍ منهم بطريق الأجر والعوض"[1] وللتَّعبير بالجزاء هنا دون غيره كالثَّواب والأجر ونحوهما لطيفةٌ بليغة، وهي أنَّ الآيات السّابقة قد نقلت لنا قول الأبرار للمطعَمين: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾، فنصّوا على عدم إرادة (الجزاء) فلمّا كان هذا ما قالوه؛ كان مِن قبيل الإكرام أن يُعبَّر عن إكرام الله تعالى لهم باللَّفظ نفسه، فقال: ﴿وَجَزَىٰهُم﴾؛ أي: "حيث لم يطلبوا الجزاء من غيره"[2].

معنى (الباء)، و(ما) ودلالتهما في ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾:

العمل سبب في نيل الأجر، وخصوصًا الإيمان والصَّبر

جمهور المفسّرين على أنَّها هنا للسَّببيَّة، وأنَّ قوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾؛ أي: بسبب صبرهم أعطاهم ونَوَّلهم وبوَّأهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ أي: منزلًا رحبًا، وعيشًا رَغَدًا ولباسًا حَسَنًا[3]. ومعنى الإلصاق لا يناقض معنى السَّببيَّة، بل هو مكمّل له، فكأنَّه جعل الجزاء (وهو الجنَّة والحرير) ملاصقًا للعمل (وهو الصَّبر)؛ وذلك لبيان أثر العمل في نيل الثَّواب.

وأمّا (ما) فإنَّها مصدريَّة، والتَّقدير: بصبرِهم على الإيثار[4]، "وهذا على أنَّ الآية نزلت في جميع الأبرار ومَن فعل فعلًا حسنًا[5] وفي الآية إشارة إلى أنَّ جزاءَهم هذا الجزاءَ الطَّيِّب إنَّما كان بصبرهم في الدُّنيا على أعباء التَّكاليف، وأداء الواجبات؛ فالطّاعات والأعمال الصّالحة كلُّها لا تؤدَّى إلّا بمجاهدة النَّفس، ومغالبة الهوى. وفي الحديث: «حُفَّتِ الجنَّة بالمكاره، وحُفَّتِ النّار

(1) الهرريُّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 491.
(2) ثناء الله المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 156.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 290.
(4) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 670، والشَّوكانيُّ، فتح القدير: 5/ 420.
(5) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 136.

بالشَّهوات»[1] والمقصودُ: أورثهم سبحانه بصبرِهم على إقامة الدِّين الحقِّ خيرَ منزلٍ، وأرغدَ عيشٍ، وأحسنَ لباسٍ[2].

دلالة التَّعبير بالماضي ﴿صَبَرُواْ﴾:

يفيد التَّعبير بالماضي الدَّلالة على التَّحقّق، وذلك مِن حيث التَّعبير عمّا تمَّ وانقضى، وهذا يدلُّ على أنَّ هؤلاء الأبرار قد حقَّقوا مقام الصَّبر، وثبتوا عليه حتَّى صار لهم كالسَّجيَّة، فلا هي تفارقهم ولا هم يقلعون عنها.

حـقَّـق الأبـرار عبـوديَّة الصَّبر والإنـفـاق، فـكـوفـئـوا بما عـوَّضـهـم عن المشاقّ

نكتة الإدماج في قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾:

ذكر سبحانه مِن أعمال الأبرار ما ينتبه سامعُه على جمعهم لأعمالِ البرِّ كلِّها، فذكر سبحانه وفاءَهم بالنَّذر، وخوفَهم مِن ربِّهم، وإطعامَهم الطَّعام على محبَّتهم له، وإخلاصَهم لربِّهم في طاعتهم...

للصَّبر محوريَّةٌ في الـدِّيـن، ومـركـزيَّـة في اليقين

ثمَّ أخبر عنهم بأنَّهم يخافون اليومَ العسيرَ القمطريرَ، وهو يومُ القيامة، ففي ضمن هذا الخوفِ إيمانُهم باليومِ الآخِرِ، وكفُّهم عن المعاصي التي تضرُّهم في ذلك اليوم، وقيامُهم بالطّاعات التي ينفعهم فعلُها ويضرُّهم تركُها في ذلك اليوم[3]، وأدمج في ذلك قوله: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ الجامع لأحوال التَّقوى والعمل الصّالح كلِّه؛ لأنَّ جميعه لا يخلو عن تحمُّل النَّفس لترك محبوب أو فعل ما فيه كُلفة، ومِن ذلك إطعامُ الطَّعام على حبِّه[4]. وفي ذلك دلالة على مركزيَّة الصَّبر ومحوريَّته.

الغرض من حذف متعلَّق الصَّبر:

قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: أثابهم بصبرهم على

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1365 - 1366، والحديث أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه برقم: (6487)، ومسلم في صحيحه برقم: (2822)، واللَّفظ له.

(2) مأمون حموش، التَّفسير المأمون: 8/ 287.

(3) ابن تيميَّة، دقائق التَّفسير: 3/ 22.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 388.

مشقَّة الطّاعة، وعن اقتراف المعصية. وقيل: على الفقر. وقيل: على الصَّوم. وقيل: على الجوع"[1] والأوْلى حملُ الآية على الصَّبر على كلِّ شيء يكون الصَّبرُ عليه طاعةً للّه سبحانه"[2]، فيكون قولُه: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ عامًّا في الصَّبر عن الشَّهوات، وعلى الطّاعات والشَّدائد، وفي هذا يدخلُ كلُّ ما خصَّصَه المفسّرون مِن صوْمٍ وفقرٍ وجوع ونحوه[3].

صبروا على الطّاعات ففعلوها، وعن المعاصي فتركوها، وعلى الأقدار المؤلمة فلم يتسخَّطوها

الغرض من تقديم شبه الجملة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على المفعول به ﴿جَنَّةً﴾:

أوثر تقديم شبه الجملة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على المفعول به ﴿جَنَّةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً﴾ لأجل الاهتمام بالمتقدِّم (وهو الصَّبر)؛ إذ جعلته الآيات سببًا للفوز بالجنّات، ونيل أعلى الدَّرجات. وهذا التَّقديم يحسن جدًّا في باب الوعظ والإرشاد، فيثبِّت قلوب الصّابرين، ويهدي غيرهم إلى المنهاج المستبين.

يحسُن في باب الوعظ والإرشاد تقديمُ ما يهدي إلى سُبُل الرَّشاد

نكتة تنكير ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ودلالة إفرادهما:

أوثر تنكير ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ للدَّلالة على التَّعظيم[4]، فقوله تعالى: ﴿جَنَّةً﴾؛ أي: بستانًا عظيمًا يأكلون منه ما شاؤوا"[5]، ﴿وَحَرِيرًا﴾؛ أي: هو في غاية العَظَمة[6] وأمّا الإفراد فللدَّلالة على الجنس[7]، فلكلِّ واحد منهم جنَّةٌ عظيمة، وحريرٌ ليّنٌ بديع!.

نعيم الجنَّة عظيم لا تدركه الأوهام، ولا تحيطه الأفهام

بلاغة الإيجاز بحذف المضاف في الآية:

في قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ عُدِّي الجزاء إلى الجنَّة والحرير، وفي الكلام حذفُ مضافٍ، والتَّقدير: جزاهم إسكانَ جنَّةٍ، ولبسَ حريرٍ، فحُذِف المضافُ، وأُقيم المضافُ إليه

للأبرار في جنَّتهم ما يشاؤون، وهم فيها مكرَمون منعَّمون

(1) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 295، وأبو حفص النَّسفيُّ، التَّيسير في التَّفسير: 15/ 146.
(2) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 5/ 420.
(3) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 411، والثَّعالبيُّ، الجواهر الحِسان: 5/ 531.
(4) طنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 221.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 173.
(6) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 142.
(7) محمَّد الهلال، تفسير القرآن الثَّريُّ الجامع: 12/ 216.

مقامه[1] وهذا مِن بليغ الكلام إذ لم يقصر الجزاء على سكنى الجنَّة ولبس الحرير، بل لهم ما شاؤوا، ففي الجنَّة ما تشتهي الأنفُس وتلذُّ الأعين.

نكتة عطف (حَريرًا) على ﴿جَنَّةً﴾:

آثروا العطاء، وصبروا على الجوع والعراء، فعظَّم الله لهم الجزاء

عُطِف الحرير على الجنَّة ليجمع لهم النَّعيمَيْن: النَّعيم المُظهَر، والنَّعيم المُضمَر، فالجنَّة فيها ما لذَّ وطاب مِن المأكل والمشرب، وهذا بمثابة كساء الباطن، "فلمّا ذكر ما يكسو الباطن، ذكر ما يكسو الظّاهر فقال: ﴿وَحَرِيرًا﴾"[2] وتناسب ذكرُ الحرير مع الجنَّة؛ لأنَّهم أوثِروا على الجوع والعراء[3].

سرُّ إيثار ذِكر هذين الثَّوابين ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ دون غيرهما:

أُبدِلوا بحرارة الصَّبر وألم الجوع، أجرًا غير ممنونٍ ونعيمًا غير مقطوع

لمّا ذكر الله تعالى ثواب الأبرار الذين أنفقوا وأطعموا وصبروا أتى الذِّكر أنَّه جازاهم بسُكنى الجنَّة ولبس الحرير، ولهذا الاختيارِ دلالةٌ بديعة؛ ذلك أنَّه – ﷻ – جعل الجنَّة "في مقابلة الإطعامِ والصَّبرِ على الجوع، والحريرَ في مقابلة الصَّبر على العُري؛ لأنَّ إيثار الأموال يؤدِّي إلى الجوع والعُري"[4]؛ "أي: وجَعَلَ الله سبحانه جزاءهم عنده أنْ أدخلهم الجنَّةَ، وكساهم فيها خيرَ ما يُكسَى به أهلُ النَّعيم في الدُّنيا، وهو الحرير، ولكنَّه حريرُ الجنَّة الذي لا يَعلم صِفَتَه إلّا الله تعالى"[5] "وهذا يدلُّ على أنَّ المراد مِن قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ ليس هو الإطعام فقط، بل جميع أنواع المواساة مِن الطَّعام والكِسوة"[6]، وإنَّما خُصِّص الإطعام بالذِّكر؛ "لأنَّه معظم اللَّذات الحِسِّيَّة"[7].

(1) المنتجب الهمدانيُّ، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: 6/ 293.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 142.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 362.
(4) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 268.
(5) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1366.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 749 - 750.
(7) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 483.

وبذلك "كان الجزاء برفاهية العيش إذ جعلهم في أحسن المساكن وهو الجنَّة، وكساهم أحسن الملابس، وهو الحرير الذي لا يلبسه إلّا أهلُ فرطِ اليَسار، فجمع لهم حُسنَ الظَّرف الخارج وحُسنَ الظَّرف المباشر وهو اللِّباس"[1] ولمّا كان في الصَّبر مِن حَبسِ النَّفْسِ والخشونةِ التي تَلْحَقُ الظّاهرَ والباطنَ مِن التَّعب والنَّصَب والحرارةِ ما فيه - كان الجزاءُ عليه بالجنَّة التي فيها السَّعَة والحرير الذي فيه اللِّينُ والنُّعومةُ والاتِّكاءُ الذي يتضمَّن الرّاحة والظِّلال المنافية للحَرِّ"[2].

توجيه المراد بالجنَّة في هذا السِّياق:

أُثيبوا ببستان عظيم فيه مأكل هنيّ، ومَلبَس ليّن بهيّ

وقف المفسّرون مع ذكر الحرير بعد الجنَّة، والأصل أنَّها - أي: الجنَّة - فيها مِن صنوف المأكول والملبوس ما فيها، فما معنى ذِكر الحرير مع الجنَّة؟ والجواب: أنَّ المعنى: "وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدِّي إليه مِن الجوع والعُري بستانًا فيه مأكلٌ هنيٌّ، وحريرًا فيه ملبَسٌ بهيٌّ"[3] "فالمراد بالجنَّة هنا: بستانُ المأكولات، لا ما يقابل النّارَ، وهي دار الكرامة، حتَّى يُقال: أيُّ حاجة إلى ذِكر الحرير بعد ذِكر الجنَّة مع أنَّها مشتملة عليه في جملة ما أُعِدَّ فيها للمؤمنين"[4].

بلاغة الإيجاز بذكر صنوف النَّعيم:

باب الإعجاز حُسنُ الإيجاز

في الآية إيجازٌ آخذٌ بأطراف الإعجاز؛ فقد أشار تعالى بقوله: ﴿جَنَّةَ﴾ إلى ما يتمتَّع به أولئك الأبرار في دار الكرامة مِن أصناف الفواكه والثِّمار، والمطاعم والمشارب الهنيَّة؛ فإنَّ الجنَّة لا تُسمَّى جنَّة إلّا وفيها كلُّ أسباب الرّاحة كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزُّخرف: 71] وأشار بقوله: ﴿وَحَرِيرًا﴾ إلى ما يتمتَّعون به مِن أنواع الزِّينة واللِّباس التي مِن أنفَسِها وأغلاها عند

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 388.
(2) ابن تيميَّة، دقائق التَّفسير: 3/ 24.
(3) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 670.
(4) القنَّوجيُّ، فتح البيان: 14/ 465.

العرب: الحريرُ، فقد جمع لهم أنواعَ الطَّعام والشَّراب واللِّباس، وهو قُصارَى ما تتطلَّع له نفوسُ النّاس.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السُّرور والبهجة:

البَهجة: الحُسْن[1]، وهي حُسنُ لون الشَّيء ونضارتُه[2]. والبهجة: ظهور أثر السُّرور برؤية الحُسنِ والجمال.[3]. وقال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ﴾ [النّمل: 60]؛ أي: ذات حُسنٍ ورَونقٍ يبتهج به النّاظر ويُسَرّ[4].

السُّرور مختصٌّ بالباطن والبهجة مختصَّةٌ بالظّاهر

والسُّرور: هو لذَّة في القلب عند حصول نفع أو توقُّعه أو اندفاع ضرر[5]؛ وهذا التَّعريف يبيِّن سرَّ إيثار لفظ (السُّرور) دون (البهجة) في قول الله جلَّ علا: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾؛ فقد تحقَّقَ لهم دَفعُ الضَّرر في قول الله ﷻ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ﴾، وحصولُ النَّفع في قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾، ويضاف إلى ذلك أنَّ البهجة مختصَّة بالنَّعيم الظّاهر وقد أشير إليه في قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ﴾؛ أي: حُسنًا ونعمةً تَظهر على وجوههم[6]، ومِن بيان إحاطة النَّعيم بهم مِن كلِّ جانب وانغماسِهم فيه الإشارةُ إلى النَّعيم الباطن في قول الله ﷻ: ﴿وَسُرُورٗا﴾؛ أي: سرورًا دائمًا في قلوبهم لا انقطاع له[7]؛ فأعطاهم الله ﷻ بدل عُبوس الفُجّار وحزنهم نضرةً في الوجوه وسرورًا في القلوب[8].

---

(1) الجوهريُّ، الصِّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (بهج).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (بهج).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (بهج).
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 293، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 216.
(5) أبو البقاء الكفويُّ، الكُلِّيّات، ص: 508.
(6) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 142.
(7) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 23/ 36، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 142.
(8) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 670، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 72.

الحرير والإستبرق:

الحريرُ أعمُّ مِن الإستبرق

الفرق بينهما أنَّ الحريرَ أعمُّ مِن الإستبرق؛ لأنَّ الإستبرق: هو الحرير الغليظ المنسوج بخيوط الذَّهب[1]، وسُمّي بذلك لشدَّة بريقه[2]؛ فأوثِر لفظ (الحرير) دون (الإستبرق) في قول الله ﷻ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ لأنَّ لفظَ (الحرير) يعمُّ كلَّ أنواعِ الحرير ويشمل كلَّ أشكالِه، ونُكِّر اللَّفظُ تعظيمًا[3] وتفضيلًا له عن حرير الدُّنيا، فهو أعلى ممّا في الدُّنيا بكثير[4].

(1) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 3/ 305، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 18/ 48، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 15/ 313.

(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 18/ 48.

(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 142.

(4) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 29.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"